المحاضرة الخامسة :الحضارات وبداية تحركات الشعوب في عصر المعادن عبر العالم

من المرجح أن انتقال الإنسان من عصور ما قبل التاريخ إلى العصور التاريخية يعود تاريخه إلى حوالي ستة آلاف عام،واهتمت الدراسات بالتقسيم التاريخي في العهد القديم وفق مراحل عرفت بالعصور التاريخية وارتبطت بالمعادن وأبرزها :

-عصر النحاس : يمثل النحاس أول معدن يلين لاستخدام الإنسان فوجد في سويسرا حوالي 6000 ق. م، أما في بلا الرافدين فيرجع إلى سنة 4500 ق.م، وبعد أن نجح الإنسان في فن صهر المعادن، وربما أدّت كثرة النحاس إلى قيام ثقافات جديدة في الألف الرابع قبل الميلاد في عيلام ومابين النهرين ومصر وانتشرت إلى مختلف مناطق العالم[1]. وفي هذا العصر تحرر جزء من أفراد المجتمع من الإنتاج الزراعي واحترافهم التجارة والصناعة ، ومهد لظهور المدنية في أرض مابين النهرين وظهور عصر البرونز في مصر والهند ومراكز المدنية الأخرى في الحوض الشرقي للبحر الأبيض التوسط .

-عصر البرونز: هو فترة التكوين في تاريخ الإنسان الحضاري وقد بدأ هذا التغير السريع في حوالي الألف الرابعة قبل الميلاد واقتصر على مناطق قليلة من العالم كانت الظروف الجغرافية فيها ملائمة ، وقد ظهرت الثورة المدنية في العراق ثم انتشرت سريعا في مصر، يرجع البرونز إلى الآثار الكريتية سنة 3000 ق.م والآثار المصرية 2800 ق.م ،رغم أن هذا المعدن ظهر في مناطق مختلفة ، كما أن بعض المناطق انتقلت مباشرة من عصر الحجر إلى عصر الحديد،مثل فنلندة وشمال وروسيا وإفريقيا الوسطى وجنوب الهند .ففي هذا العصر بدأ التخصص في العمل يظهر لأول مرة في التاريخ حيث انفصل الزراع عن أصحاب الحرف الأخرى ، وأصبح الحرفيون يحصلون على حاجاتهم عن طريق المقايضة بالمنتجات التي يقومون بصناعتها [2]، ولم يستغرق عنصر البرونز أكثر من ألف سنة وهي فترة محدودة في تاريخ البشرية .

-عصر الحديد : تكشف الآثار أنّ الحديد يرجع إلى 4000 ق.م بعد اكتشاف مسبك للحديد بروديسا ، ومثل عملة نادرة في عصر حمو رابي 2100 ق.م ، وعرف انتقالا إلى المعمورة قرنا بعد قرن.-استخدام الحديد في الصناعة بعد اكتشافة في الألف الثالث والثاني بشكل متفاوت بين المناطق، فقد وجد الأثريون مجموعة من المدى في " جيرار" في فلسطين، حدد "بترى " تاريخها سنة 1350 ق.م [3]، فاستطاع الإنسان بإيجاد هذا المعدن صناعة أدوات متينة، ساعدت على استصلاح مساحات واسعة من الغابات من أجل الحرث والرعي .ولم يثني استعمال الأدوات المعدنية للعمل بالخشب ، حيث قام نجارو عصر البرونز ببناء بيوت متينة بربط العوارض بالأسنان ، واكتشاف العربة قبل 3000 ق.م [4].

ويمكن تلخيص أهم مميزات عصر استعمال المعدن في النقط التالية :

-الخروج من نطاق الاكتفاء الذاتي والاعتماد جزئيا على ما تجلبه التجارة من الخارج .

-نشأة طبقة متخصصة في الصناعة، تنتج بهدف الاستهلاك المحلي والإتجار مع الخارج.

---

[1] . ديورانت ، قصة الحضارة ، ج1 ،ص 179.

[2] . الجغرافيا التاريخية ، عصر ماقبل التاريخ وفجره ،ص 190.

[3] . ديورانت ، قصة الحضارة ، ج1 ،ص 181.

[4] ف. دياكوف ، /س .كوفاليف ، الحضارات القديمة ، ج1 ،ترجمة نسيم واكيم اليازجي ،منشورات دار علاء الدين ،دمشق ،ط1 ، 2000 ، ص 51.

- نشأة التجارة على نطاق كبير حيث أصبح الحرفيون يحصلون على حاجاتهم عن طريق المقايضة بالمنتجات التي يقومون بصناعتها.
- قيام المدن كوحدات جديدة من التعمير البشري مستقلة عن القرى حيث مثّل عصر الإستقرار الزراعي عصر نشوء المدن التي وجدت الأعمال الأثرية كثيرا من اللُّقى في طبقات أثرية في الكثير من المدن والممتدة مابين 7000 – 3500 ق.م مثل : تبة سيالك " و " حجي فيروز " في إيران، وتل الجديدة في سورية ما بين 5600 – 5100 ق.م وتل العبيد في العراق بين 5000 ق.م – 3750 ق.م .وتطورت المساكن من أكواخ من الأخشاب إلى منازل من الطين مثل قرية سيالك في شمال إيران ، جارمو و" تل حسونة " في العراق و " أوغاريت " و " تل الجديدة " في سورية و" تل السلطان " في فلسطين و" البيضا في الأردن و " جبيل في لبنان[5].

5-حركة الهجرة والاستعمار التي كان ظهورها الأول في عصر البرونز نتيجة التجارة والبحث عن المعادن بإنشاء جاليات أجنبية بالنسبة للسكان الأصليين في إقليم ما بقصد إستغلال موارد الطبيعة، وهو ما نتج عنه من تنقل وسفر إلى الاستقرار في آخر المطاف مع الثورة الإنتاجية، وأهم التجمعات البشرية في عصر المعادن : مصر – العراق – شمال سوريا –فلسطين – الأناضول – كريت .

ومن الشعوب التي عرفت هجرات نجد الدردان الذين عبروا الدردنيل في القرن الثامن عشر قبل الميلاد وأسسوا قرية **حصارلك** الخامسة ، ثم بعدها **حصارلك** السادسة في 1500 ق.م ، وفي القرن الثالث عشر ظهر عنصر جديد في شرق البحر الأبيض المتوسط هو العنصر الهندو أروبي الذي وفد من سهوب وسط آسيا حتى شمال البحر الأسود إلى البلقان وعبروا الدردنيل إلى الجانب الآسيوي، وسادت جموعهم على الدردان الإسيانيين، واصطبغت السواحل الغربية بصبغتهم، وحملت اسمهم هؤلاء هم الفريحيون الذين أحالوا طروادة إلى قلعة من قلاع الآرية في آسيا الصغرى، وضغطوا على الحيثيين في داخل آسيا وانتهوا بطردهم من الأناضول وانتقال إلى شمال سوريا [6]، والزكالة أو الزكارو الذين استقروا في الساحل السوري وشمال سوريا وأسسوا مدينة أنطاكيا، والسقليقسن تحركوا في نفس الجيل من أضراب طروادة واستقروا في الساحل المعروف بقيليقيا في الوقت الحاضر ، قبيلة الوشاش أو سكان أشوش على الساحل السوري الشمالي انبعثوا من بحر إيجة، شعوب اللويت والحاتي وفدت من آسيا الصغرى منذ أوائل عصر البرونز واعتصمت بهضبة كبادوشيا التي أصبحت نافذة آسيا الصغرى الغربية (منطقة المضايق)، الفريجيون من الآريين الشعوب الهندوأروبية بنوا مدينتهم حصارلك السادسة وأطلقوا عليها اسم طروادة ، كما أن الآخيين الأوائل في أواخر القرن الرابع عشر قد بدأو في تعمير حوض بحر ايجة حطمو كنسوس ونقلوا عاصمتهم إلى موكيناي. وبذلك صبغت بلاد اليونان بالصبغة الآرية وتكونت الأمّة الإغريقية التي نعرفها .

وتتنوع الشعوب التي كان لها دور في نشاة الحضارات وما تربط بها من هجرات بشرية وقيام مدنيات في مناطق مختلفة من العالم

---

[5]. نفسه ، ص 49.

[6] الجغرافيا التاريخية عصر ماقبل التاريخ وفجره ،ص 468- 469.